انهن سيقتنين الغالي كما كانت تفعل ملكة الانكليز فانهن يخففن عن اخواتهن الفقيرات والمتوسطات اللواتي يتطلعن اليهن ليقتدين بهن ونحن نعتقد انه متى تم ذلك بين انتساء المسيحيات فانه يتم دون ريب بين المسلمات وبهذا يحسن تحرير المرأة من كل عادة وتقليد ولا تكون قد خرجت من عادة لتقع في اشأم منها

﴿ المرأة الشقية ﴾

اي عقل سليم لا يتبلبل اذ يتأمل في هذه الكلمة السهلة اللفظ الصغيرة التركيب وهو يرى طيها ميدان الفساد الفسيح لا بل دنيا الفساد والشر وعالم الدعارة والعهارة واي قلب يحليه الادب لا يتقطع وهو يرى ان في هذه الكلمة السيف القاطع المرهف الآخذ في استئصال اصول الاخلاق السليمة في العالم والنار الآكلة الملتهمة القائمة على احراق جذور الاداب والداء العضال القتال العامل على الفتك بالنفوس والاجسام

اما نحن وان كان يوجعنا ايقاف الفكر زمناً على هذه الكلمة وما تتضمنه ويحزننا جعلها موضوعاً لقراءة الافكار السليمة وتأملا لا يخلو من بعض السماجة يؤثر في القلوب الطاهرة النقية فمع ذلك لا نرى من بد وقد اخذنا اجابة لصوت الحق في الفحص عن فظائع المدنية الاوربية ونتائج مغالاة تحرير المرأة الا التكلم بهذه الموضوع ولو بطريق الايجاز

فاول شيء يراه الفكر المتأمل في كلمة مومس امرأة فاقدة الشرف معراة عن الادب متشردة خليعة بائحة مطلقة الحرية ليس لها اب يحكم عليها فيؤدبها ولا ام تربيها وتقوم اعوجاجها ولا زوج يأمرها فتطيعه ويصون عرضها وطهارة ذيلها فخلو الشرف من المرأة ليس هو دائماً كافياً الان يصيرها مومساً بل مغالاة الحرية المعطاة لها هي التي توصلها الى هذه الحال. واذا قال قائل ان المومسات قديمات كالعالم وقد كن في زمن لم يكن لهن فيه من الحرية من شيء فنسأله ان يمهلنا ريثما نتكلم عن المرأة المستعبدة وهناك نعطيه جواباً على قوله اذ نحن في موضوعنا هذا ذاهبون الى نقض دعائم العبادة والاستعباد للمرأة

فمومس الحرية التي هي موضوع كلامنا الان هي اما خارجة عن زوج ليس له سلطة عليها فيوقفها عن جماحها واما عن والدين قد خرجت عن ادارتهما ولم يعد لهما حق مدني عليها واما برضى هذا الزوج او بتسليم ذاك الاب او باغراء هذه الام وهنا الموضوع الذي تقشعر منه الابدان وتثور ضده الطبيعة

اما المرأة الخارجة عن زوج فقد صارت شقية اما لعدم اتفاقها مع الزوج واما لخيانتها هذا الزوج

اما عدم اتفاقها معه فلسلوكها واياه مسلكا مضاداً لنصوص شرائع الدين والطبيعة فأمرت على حين انها مخلوقة لتطيع وخضع على حين انه موجود ليسود وليس من ينكر ان تغيير النظام في الطبيعة يولد الخراب كما ان انفصال عضو في الجسم عن موضعه الاصلي يقلل من سلامة الجسم وراحته وسقوط مادة من قانون شركة يبعث الى الانشقاق. ثم ان المرأة ضعيفة واما الرجل

فقوي وهي مدركة وهو اكثر ادراكا ومن طبع القوي المدرك استصعاب الخضوع والانقياد للضعيف المدرك فضلا عن ان في المرأة اخلاقاً تميل غالباً دون سبب الى مضادة الرجل وحرمانه من الامور القائمة عليها راحته اذ ان النساء على ماقال تارانس الشاعر والفيلسوف الروماني الطبيعي يردن عند ما لا نريدولا يردن عند مانريد. وقد حكم هذا الفيلسوف على اخلاق المرأة في حين لم يكن لها فيه شيء من السيادة ومع ذلك فقد عرف لدى الفحص ان هذه الاخلاق المفطورة منها المرأة لاتخلو من مضادة وتكدير للرجل فكم يكون تأثيرها فيه حال سلطتها عليه

ومن الامور غير المنكرة ضرورة السلطة ووجوب الطاعة لحفظ الاتفاق بين قلبين معها بعدت او اقتربت حالة ارتباطهما كما ان هذه الطاعة وتلك السلطة هما ضروريتان لحفظ الممالك ونشر السلام. وقد قال شيشرون الفيلسوف في كتابه المسمى «الصداقة» ان المتصادقين ربما يحافظان على صداقتهما بمراعاة الاحساسات ولكن هذه الصداقة لا تدوم واذا دامت فلا يكون تأثيرها عظيما كما لو جعل الضعيف منهما ادراكا سنة لنفسه يوقرها وبالتالي يطيع بها صديقه وبهذه الطاعة تنجلي الصداقة اكثر وتثبت اكثر وتدوم اكثر وتكون منافعها اكثر. فالطاعة واجبة اذن لحفظ الائتلاف بين قلبين وقد عرف الله ذلك اذ اوجد الانسان ذكراً وانثى فقلد قلب الذكر السلطة على قلب الانثى «تخضعين لرجلك». ونحنا نسلم بما قاله هاملت الكثير الكره لجنس النساء اذ ذهب الى ان خلق قلب المرأه بعد خلق قلب الرجل ليس هو الا لتكملة بناية الانسان بدوارة (دولاب الهواء) بل نجل النساء عن مثل هذا المذهب ونعتقد ان وجودهن تكملة جوهرية لوجود الانسان

ولكننا ننكر على قلب المرأة الحق في ادارة قلب الرجل بل نوجب عليه الخضوع بطاعة ضرورية كثيرة المنافع لقيام الانسانية. ولنا شاهد على منافع الطاعة وقوتها لحفظ الوئام الجمعيات الكثيرة التي تأسست في اوروبا وغيرها على اس الطاعة القويم فثبتت اعواماً وأجيالا ولم تزل ولن تزال ثابتة كصخر لا تزعزعه العواصف فنشأت وكبرت وامتدت اعضاؤها في العالم رغماً عن اضطهادات ومصاعب عديدة طرأت عليها ونرى الجماعة منها تتألف بعض الاحيان من مئات الالوف من الاعضاء يديرها رجل واحد يكفي لان يفوه بكلمة حتى تطمئن الرؤوس لامره اجلالاً وتقوم الالوف منفذة لحكمه خاضعة لكلمته فلو نزعنا الطاعة من هذه الجماعات لرأينا ثائر الانشقاق والاختلاف قام فيها وآفة الخراب والدمار استولت عليها. وهكذا قل في شركة الرجل والمرأة التي لاتأمن من الخراب مالم تؤيدها طاعة وتديرها سيادة وعلى هذه السيادة والطاعة قام قائم الاختلاف بين الدين والطبيعة وبين المدنية. فالدين والطبيعة اوجبا طاعة المرأة والمدنية اوجبت سيادتها فسيادة المرأة اذن هي مخالفة للطبيعة فالمدنية الحاكمة بها هي اذن فاسدة وليست بمدنية صحيحة لانها مخالفة للطبيعة وما شذ عن حكم الطبيعة فهو خارج عن التمدن الحقيقي. حكمت مدنية اوروبا بهذا فسادت المرأة ورضي الرجل بهذه السيادة وما طال الامر حتى ثقلت عليه سيادة من هي احط منه قوة وادراكا فرأى من جهة ذله ورأى من اخرى تقلب مديرته ثم فحص قواه فرآها قادرة على استرجاع حق حكمت له به الطبيعة وسلبته منه المدنية والحرية فقام يطالب بحقوقه فلم تسلم له المرأة بها واستصعبت الرجوع عما عودتها اياه الحرية فثار ثائر الاختلاف بين الزوج والزوجة ودب

الانشقاق بينهما فاهان الرجل امرأته وتعصبت المرأة على رجلها وسرى النفور في قلبيهما فانفصل الرجل عن امرأته ونقضت المرأة عهودها مع رجلها ففتشت عن سبيل تكون فيه غير مقيدة فعرضت ذاتها لرغائب الكثيرين الخارجين وسلمت اليهم عرضها اذ رأت فيه قيام معاشها وارضاء اميالها وحرية نفسها وبلغت بهذا مبلغ الفساد الفظيع واصبحت بعد ان كانت مقيدة برجل وهي بائحة عمومية ولسنا نزيد شيئاً على ماذكرناه في الفظيعة الاولى فقد اوضحنا كيف ان الحرية سهلت للمرأة السآقطة الطبع خيانة زوجها وسببت للمرأة الشريفة القلب اصلا الوصول الى هذه الفظيعة ولكننا نبين الان كيف ان هذه الخيانة توصل المرأة احياناً الى منتهى الشقاء

فالرجل مهما قل شرفه وذلت نفسه لايتحمل من امرأته خيانة العرض وقد عذرت الشريعة المدنية جريمة القتل اذا اقترفت اثر عمل كهذا وكانت الخيانة من جملة الاسباب المجوزة الطلاق المدني والهجر الديني ، عظم فظيعة الخيانة وسبب ثقلها على قلب الرجل يظهر انه بنوع خاص من النتائج التي لايبعد حصولها في الخيانة والتي بها يتأيد ثبات القران في الانسانية اذ ان القران في الطبيعة منه مايكون ثابتاً ومنه مايكون غير ثابت فالقران غير الثابت هو الذي يكون في بعض الحيوانات التي مولودها لايحتاج الى المعاونة المتبادلة لكي يعيش بل يكفي اهتمام الام به لكي ينشأ ويصير قادراً على حفظ حياته والقران الثابت هو الذي يكون في بعض الحيوانات كالطيور وبالخصوص في الانسانية التي مولودها يحتاج الى تربية الام واعالة الاب فالام لاتقدر وحدها على تربية هذا المولود فاذا كانت تغذيه من لبنها وتحافظ على حياته باهتمامها به فهي وهو يحتاجان الى الرجل ليدافع عنهما ويعولهما ولما كانت هذه

الاعالة وهذا الدفاع يكلفان على الغالب الرجل تحمل اكبر المتاعب واعظمها ويوجبان عليه بذل المستطاع لاجل القيام بهما لزم هذا الرجل ان يتحقق مصدر هذا المولود وهل اذا كان من جوهره كي لاينشل باهتمامه به ولايعز في جانب القيام بتربيته النفس والنفيس . فقران الرجل بالمرأة يلزم ان يكون ثابتاً وثباته يقوم بصيانة المرأة لعرضها . واما عدم ذلك فصاعقة تقوض دعائم القران وسيف يقطع عقد الزوجين اذ تنفتح عندئذ امام الرجل ابواب الشك في مصدر المولود فتضطرب راحته وتتبلبل افكاره ويقل اعتناؤه ببنيه ويستعظم اتعاباً ومشاق وحقوقاً ربما يتمتع بها من ليس منه بل ينزع من قلبه ثقته بامرأته ويرى فيها اكبر عدو له فيثور ضدها ويقوى عليها ويحملها من المضادات والاهانات شيئاً عظيماً فتستصعب الحياة معه ويتكره النظر اليها فيبتدي الانشقاق وينتهي بالانفصال فيقود الانفصال المرأة غالباً الى منتهى الشقاء وهنا المآل الذي ترتعد منه الفرائص . فتصبح المرأة التي كانت اعدتها الطبيعة لتكون اماً لبنين يزينون صدر الانسانية وهي امرأة بائحة تقتل بعهارتها شرف البنين الذين جاءت بهم في زمن قرانها وتعدم حياة الذين كانت تستطيع ولادتهم لو حافظت على واجبات هذا القران فتذبل زهور عفافها وتعقم عما يعمر به الكون وتتشتت الانسانية وسأوفي هذا البحث حقه فيما بعد ان شاء الله

حبيب المعوشي
احد تلامذة كلية باريس سابقاً